حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد الثالث ـ شهر رمضان ـ ١٤٣٤هـ / تموز ـ ٢٠١٣م

٣

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

مسجد الكوفة المعظم سنة ١٩٣٥م يظهر فيها محراب أمير المؤمنين وبقية المحاريب المقدسة للأنبياء والصالحين

صحائف مطوية
من تاريخ الكوفة

الدكتور : محمد سعيد الطريحي
رئيس تحرير مجلة الموسم الهولندية

فذلكة تأريخية:

الكوفة.. وما أدراك ما الكوفة، جمجمة العرب ورمح الله، وكنز الإيمان، شرفها الإمام علي(عليه السلام) بهذا القول وجعلها عاصمة ملكه، وهي مدينة جليلة كانت موئل العلم والأدب وموطن المجد والإرب مدينة ما أعظمها وما أجل تاريخها الغابر واسطع صفحاته الزّاهرة..

أجل.. تلك هي الكوفة المدينة التّأريخية الخالدة الّتي كانت كعبة القصاد، ومقصد الرّواد ومختلف الوفود ومركزاً لرجال الفكر والثّقافة وعاصمة كبيرة للبلاد الإسلامية، فقد كانت بالحقيقة مفخرة التّاريخ إذ أنّها فضلاً عما أظهرت من رجال العلم فقد أنجبت أعلاماً في الإدارة والسّياسة والفنون الأخرى.

فهي بحق وكل فخر بلدة الرّجال، وبلدة الأفكار وبلدة الرّأي، وبلدة الجدل، وبلدة المناقشة، وبلدة المنافسة، وبلدة الحياة، وما الحياة إلا جهاد وجلاد، فالعزة فيها للغلبة، والغلبة للقوة، والقوة صراع، والصّراع الفكري أفضلها، وأحقها وأبقاها في الأثر على الزّمن، «كان ولا يزال منها الأديب ينشد فتسمعه النّاس، ويؤلل في أذنيه الزّمن، والرّاوية يحفظ التّراث ويضع الخطوط بين الجماعات والأنساب، والفقيه يقرر الحدود والشّرائع، والقارئ يقرأ الكتاب ويصون كلام الله، والمحدث يقرر الصّحيح، ويبعد الزّيف والنّحوي والصّرفي واللغوي في خدمة اللغة الشّريفة..».

وهذه المدينة الخالدة من المدن الإسلامية الشّهيرة مصرت في العراق إبان الفتح العربي الظّافر بغية جعلها ثغراً من ثغور المسلمين ونظراً لاستراتيجية موقعها وما يمتاز من مزايا عسكرية حسنة وقد أصبحت بعد تمصيرها دار هجرة المسلمين وقبة الإسلام، إذ واكبت جموع المسلمين على الوفود إليها حتّى كانت مطمح الأنظار وموطن خيار الصّحابة ومركزاً علمياً وثقافياً مهماً.

إضافة إلى أهمية مركزها السّياسي خاصة يوم أن صيرها الإمام علي(عليه السلام) عاصمة له وداراً للخلافة الإسلامية فازدادت أهميتها ولعبت بواسطة تكوينها هذا دوراً مهماً في التّاريخ العربي الإسلامي سواء كان ذلك ما خرجت للعالم من ثمار أعلامها الفطاحل أو ما ضجت به كتب التّاريخ في حوادثها وثوراتها السّياسية المهمة ورجالها الفطاحل النّاهضين بأعباء الكفاح الرّسالي.

وقد استمرت الكوفة على هذا الحال حتّى أوائل القرن الرّابع للهجرة ثمّ آلت إلى الانحطاط والتّدهور وأصبحت أثراً بعد عين بعد القرن الثّامن الهجري، وبقيت مقفرة العرصات حتّى سنة ١٢٩٠هـ حيث نزلها بعض الأعراب وبنوا فيها بيوتاً من القصب على ضفة الفرات اليمنى بالقرب من المقام المنسوب للنبي يونس(عليه السلام) فكثر سكانها شيئاً فشيئاً وتطورت على هذه الحالة وازدهرت وأصبحت حتّى حاضرها الآن.

ولما كان تاريخ الكوفة القديم والحديث بالذّات أقرب منه إلى الوضوح خاصة تاريخ تراثها الأدبي الّذي به تعتز وعنه تصدر مرفوعة الرّأس بين البلاد مفتخرة بالفطاحل من أبنائها، لذا وجدت لزاماً علي نظراً لتوفر الفرصة أن أدون بعض ما يمكنني تدوينه من تاريخا الزّاهر وتراجم أدبائها وشعرائها وأخبار أيامها الماضية، هذا إضافة إلى تبيان الحياة الفولكلورية الّتي يعيشها المجتمع الكوفي اليوم والتّعريف بجغرافيتها وطوبغرافيتها الاقتصادية، ومن ثمّ بيان الجانب الأدبي والثّقافي من تراجم أعلامها الأقدمين والمعاصرين.

مع فجر التّأريخ:

تأسست الكوفة سنة ١٧هـ أسسها القائد سعد بن أبي وقاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، وكانت في بداية نشاتها مركزاً عسكرياً وقاعدة للفتوح الإسلامية.

وبعد أن تم تخطيطها وإسكان القبائل العربية فيها وبعد وقعة الحرة في الحجاز هاجر إليها كثير من أصحاب رسول الله(ص) وكانوا يعدون من الثّقات في الحديث كما نبغ فيها حتّى الفقهاء والشّعراء والنّحويون والأدباء ما ضجت به كتب التّراجم والسّير، ويكفيها فخراً أنها قد تخرج من مدرستها شاعر العربية الكبير أبو الطّيب المتنبي.

ويكفيها عزّة أنها عاصمة للإمام علي(عليه السلام) وعلى توالي الزّمن أصبحت الكوفة مركزاً صناعياً وبخاصة للنسيج والعطور ومركزاً من مراكز الصّيرفة والتّحويل النّقدي وظلت عامرة بالحياة زاخرة بالعمران فكانت مركزاً عسكرياً ثقافياً واقتصادياً في نفس الوقت وقد لعب مسجدها العظيم دوراً مهماً في الحضارة العربية الإسلامية خلال فترة طويلة من تاريخ العراق السّياسي والأدبي وبقيت على هذا الحال حتّى أوائل القرن الرّابع للهجرة- كما تقدمت بالقول- حيث خبا نجمها على أثر هجمات القبائل العربية السّاكنة في أطرافها وبالخصوص قبيلة خفاجة حيث دمرت الكوفة وخربتها بتتابع غزواتها ونهبها ثرواتها، كما يذكر لنا الرّحالة العربي ابن جبير في رحلته المعروفة.

الكوفة قبل الفتح الإسلامي:

كانت الكوفة قبل الإسلام موضعاً يرتاده أبناء القبائل للمناذرة وفيها تأسست دولتهم الّتي لعبت دوراً مهماً في السّيطرة على أطراف العراق وضبط حدوده وبسط النّفوذ على كثير من عشائر الجزيرة العربية وأراضيها، وعلى مقربة منها تقع الحيرة عاصمة ملكهم وهي إحدى مراكز الحضارة العربية قبل الإسلام، وفي منطقة الحيرة تقوم قصور أمراء المناذرة وعدد من الدّيارات الأخرى التّابعة للنصارى، منها دير بن مزعوق، ودير الحريق، ودير عبد المسيح بن بقيلة الغساني، ودير الجماجم وهو يقع بظاهر الكوفة على طريق البر الّذي يسلك إلى البصرة وفيه كانت الوقعة بين الحجاج بن يوسف الثّقفي وعبد الرّحمن بن الأشعث، ودير «قرة» بإزاء دير الجماجم ملاصق لطف البر مما يلي الكوفة، ودير «اللج» الّذي يقول فيه الشّاعر:

سقى الله دير اللج غيثاً فانّه
على بعده دير إلي حبيب
قريب إلى قلبي بعيد محله
وكم من بعيد الدّار وهو قريب[1]

(١) البكري معجم ما استعجم، ج٢ ص٥٧٣و ٥٩٤.

أمّا أشهر القصور فهو الخورنق والسّدير وقد ورد ذكرهما في أشعار العرب ومأثوراتهم الأدبية، ولا شك أنّ أرض الحيرة بما فيها من ديارات وقصور هي امتداد لأرض الكوفة والنّجف، وقد قامت تلك الوحدة على خد العذراء وعلى الموضع المعروف باللسان وعرب الكوفة كانت تقول «أدلع البر لسانه في الرّيف فما كان يلي الطّين منه فهو النّجاف»[2]، وتمثل الكوفة قبل تمصيرها جزءاً سهلياً خصباً وأرضاً منبسطة خضلة تكونت نتيجة لترسبات الفرات الغرينية وذلك في الضّفة اليمنى للفرات الأوسط إلى الجهة الشّمالية الشّرقية من مدينة الحيرة وعلى رأي البلاذري، فإنّه يرى «إنّ هذا الجزء السّهلي يدعى بسورستان وذلك من الاسم الفارسي شورستان الّتي تعني الصّحراء[3] ويذكر المسعودي في كتابه التّنبيه والأشراف ص١٧٦ فما بعدها ويسمون البلاد الّتي سكانها المسلمون في هذا الوقت من الشّام والعراق بسوريا، والفرس إلى هذا الوقت تقارب الرّوم في هذه التّسمية، فيسمون العراق والجزيرة والشّام «سورستان» إضافة إلى السّريانيين الّذين هم الكلدانيون يسمون سوريان ولغتهم سورية وتسميتهم النّبط».

وعلى هذا الرّأي فإنّه لا بد من وجود حضارة عريقة كانت قائمة على أرض الكوفة قبل تمصيرها من قبل سعد بن أبي وقاص، وعلى أغلب الظّن أنّ الكوفة قد نهضت على أنقاض مدينة «سورستان» الفارسية المعروفة كما أشار بذلك المؤرخ ابن المستوفي في نزهة القلوب.

لكن المستشرق الفرنسي لويس ماسينون في رسالته عن خطط الكوفة أشار إلى أنّ الكوفة قامت على أنقاض عاقولا السّريانية ويذكر أنّ الكوفة عرفت عند طائفة السّريان الّتي كانت تنزل الدّيارات في أطراف الكوفة عند النّجف والحيرة باسم «عاقولا» أو «ياكيولا» وكلمة «عاقولا» تعني بالسّريانية حلقة أو دائرة.

ثمة رواية فارسية يذكرها ابن المستوفي، تزعم بأنّ الملك الأسطوري «خوشدك» هو الّذي بنى الكوفة، ولكنها تخربت ثمّ شادها سعد بن أبي وقاص من جديد.

ومهما تضاربت الأقوال والآراء في وجود حضارة على أرض الكوفة قبل تمصيرها بالإسلام، فإنّ هذا الرّأي وارد مشهور يؤيدنا بذلك المنكشف من آثار الحرث والعمارة والدّيارات والقصور، والقبور، والجبانات، فهي تدل دلالة واضحة على وجود حضارة أصيلة متصلة من الحيرة حتّى الكوفة والنّجف، هذا وقد بقيت هذه الحضارة قائمة ماثلة قبل الفتح العربي الإسلامي لها بعدة سنين.

(٢) ابن قتيبة- المعارف، مصر ١٩٣٤ ص٢٤٦.
(٣) البلاذري- فتوح البلدان، ص٢٧٥.

تسمية الكوفة:

اختلف اللغويون والمؤرخون في أصل كلمة «الكوفة» وتضاربت آراؤهم في دلالته، فذهبوا مذاهب شتى، وقبل الخوض في غمار هذا الموضوع يجب أن نذكر ما أورده البلدانيون العرب والمسلمون ولغويوهم.

فقد جاء في القاموس وشرحه تاج العروس: «الكوفة بالضّم الرّملة الحمراء المجتمعة» وقيل «المستديرة أو كلّ رملة تخالطها حصباء» وقيل لكونها رملة حمراء ولاختلاط ترابها بالحصى، والكوفان: الدّغل من القصب والخشب.

وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي الرّومي «سميت الكوفة لاستدارتها، أخذاً من قول العرب، رأيت كوفاناً بضم الكاف وفتحها للرميلة المستديرة، وقيل سميت الكوفة كوفة بموضعها من الأرض، وذلك أنّ كلّ رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة..».

ويورد القلقشندي في صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الجزء الرّابع ص٣٣٤، آراء مختلفة في أصل كلمة الكوفة فيذكر ناقلاً عن صاحب التّرتيب: «قال في اللباب: الكوفة بضم الكاف وسكون الواو ثمّ فاء وهاء وقال قطرب: يقال القوم في كوفان أي في أمر يجمعهم، ويقول آخرون: سميت بالكوفة لأنّها قطعة من البلاد أخذاً من قول العرب قد أعطيت فلاناً كيفة أي قطعة وقيل أيضاً: الكوفة من الكفاف» ويورد السّيد حسين البراقي في تاريخ الكوفة جملة من الآراء في تسمية الكوفة فمنها ما قاله اللحياني: كوفان اسم للكوفة وبه كانت تدعى قبل، وقال الكسائي: علي بن حمزة النّحوي الكوفي: الكوفة تدعى كوفان إنّما نقل ذلك عن ابن عباد في قولهم أنّه لفي كوفان، وجاء في النّهاية لابن الأثير: قال في حديث سعد لما أراد أن يبني الكوفة قال تكوفوا في هذا الموضع أي اجتمعوا فيه وبه سميت الكوفة، وقيل كان اسمها قديماً كوفان وجاء أيضاً في مختصر الصّحاح: الكوفة الرّملة المستديرة وبها سميت الكوفة، وجاء أيضاً في معجم المصباح المنير: الكوفة مشهورة بالعراق قال: سميت الكوفة لاستدارتها لأنّه يقال القوم إذا اجتمعوا واستداروا.

ويذكر ذلك أيضاً العلامة الشّيخ فخر الدّين الطّريحي في معجم البحرين.

وقد سماها الشّاعر عبدة بن الطّيب بـ«كوفة الجند» في قوله:

إنّ الّذي وضعت بيتاً مهاجرة
بكوفة الجند غالت ودها غول

وعرفت بالكوفان كما تقدم وقد جاء ذكر هذا الاسم كثيراً في الشّعر العربي فما قاله جحدر اللص اكعكلي وهو في سجن الحجاج بالكوفة:

يا رب أبغض بيت أنت خالقه بيت بكوفان منه استعجلب سقر[1]

ويميل الباحث العراقي يعقوب نعوم سركيس بأنّ أصل كلمة الكوفة محرفة من الكلمة الآرامية «كوبا» الّتي تعني نباتاً من حمض العاقول وقد حاول تفسيرها على النّحو التّالي مستعيناً بذلك على المعجم الكلداني[2] حيث وجد أنّ الكلمة فسرت كما يلي:

«كو، كوب» شوكة «كوبا كلا» بكاف فارسية عرق عاقول ترعاه الإبل، وكلمة عاقول تعني «عوجة فتلة الطّريق»، هذا وقد ورد في وصف إميانوس مرشيلينوس ذكر لمدينة «فولوجيسيا»، أو «أولغاشيا»، «فولغاشيا» نسبة إلى الملك الغرني فلغاش الأوّل «٥٢- ٨٠م» من المرجح أنّ موضعها مدينة الكوفة ومهما اختلفت الأقوال والآراء في الأصل التّاريخي لمدينة الكوفة فهو اسم عربي بلا شك وقد استند العلامة المؤرخ الشّيخ محمّد رضا الشّبيبي بآراء معقولة على عروبة اسم الكوفة وذلك في بحث نشر له في مجلة الاعتدال النّجفية٦ سنة ١٩٤٦ ٢٥٩.

دواعي تمصير الكوفة:

تتلخص أهم الدّواعي الّتي سببت تمصير الكوفة على ثلاث نواح وهي:

١- أن تكون قاعدة عسكرية للقسم الأوسط من العراق ودار هجرة وعاصمة للمسلمين بدل المدائن.

٢- لموقعها الاستراتيجي والحربي الهام فهي تمثل ثغراً من ثغور البادية ومحلاً لتبادل البضائع والسّلع بين الفرس من جهة وأصحاب الإبل البدو من جهة أخرى، إضافة إلى أنّ موضع الكوفة يمثل جسراً للاتصال بين الجماعات العربية المنتشرة في البادية وأهل المدن والقرى من الآراميين، كما أنّ موضعها هو أقرب من المدائن إلى مركز الخلافة وأبعد من الحدود الفارسية حيث يكون فيها العرب الفاتحون في أمان من التّحرشات الفارسية.

٣- وثمة نقطة أخرى، فإنّ احتلال الكوفة يضمن السّيطرة الكاملة على طول الفرات وذلك لقربها من البادية المجاورة للصحراء، واتصالها بالطّرق الرّئيسية في جميع الاتجاهات ثمّ خلوها من العوارض الطّبيعية الّتي تسهل ناحية الهجوم والانسحاب والنّقل في أثناء القتال بحرية كاملة.

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٧٤.

(٢) القس أوجين متا: المعجم الكلداني دليل الرّاغبين في معرفة لغة الآراميين ص٢٧٤و ص٣٢٤.

تخطيط الكوفة:

بعد أن أسقط العرب الفاتحون المدائن عاصمة الإمبراطورية السّامانية وثبتت أقدامهم في العراق أرادوا أن يبنوا لهم دار هجرة تكون محلاً لأقدامهم، ومعسكراً لحامياتهم الّتي بها يوطدون سلطانهم في العراق وفارس، أو كما قال الخليفة عمر بن الخطاب «يحرزون ثغورهم ويمدون أهل الأمصار..».

فأتوا الأنبار وأرادوا أن يتخذونها منزلاً فكثر على النّاس الذّباب فتحولوا إلى كوفة بن عمرو.. وعلى أغلب الظّن أنّ هذا لم يكن السّبب الحقيقي لترك سعد الأنبار، لكن السّبب حسب اعتقادي هو حربي بحت، فإنّ الأنبار لا تصلح من النّاحية الحربية لوجود عائق طبيعي وهو الفرات وما يتسبب عنه وعن «بحيرة الحبانية» من فيضانات ومستنقعات، ولبعدها عن العاصمة المدينة، مما يؤخر ويعرقل إرسال المدد إذا ما تجدد القتال بينهم وبين الفرس في المستقبل.

وعلى كل حال فقد تركوا الأنبار متوجهين إلى كويفة بن عمرو وكويفة هذا رجل من الأزد أقطعه كسرى أبرويز هذا الموضع فعرف باسمه، ولم يعجبهم أيضاً موضع كويفة بن عمرو فتوجه نظرهم إلى الحيرة فلم ينزلوها لغلبة النّصرانية على أهلها من جهة ولقربها من منطقة الأهوار والمستنقعات المتسببة عن فيضانات الفرات وبحر النّجف من جهة أخرى.

فتحولوا إلى الكوفة ولما استتب بهم الأمر ابتعدوا عنها بضعة أميال واختطوها حيث كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب: إنّي قد نزلت الكوفة منزلاً بين الحيرة والفرات برياً بحرياً ينبت الحلي والنّصي وخيرت المسلمين بالمدائن فمن أعجبه تركته فيها كالمسلحة، فبقي أقوام وجلهم من بني عبس.

وقد كان نزولهم الكوفة على ما اتفق عليه أكثر المؤرخين سنة ١٧هـ الموافقة لسنة ٦٣٨ ميلادية، كما يتفقون بالقول بأنّ أوّل ما اختط من المدينة هو المسجد.

ولما أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة أرسل سعد بن أبي وقاص إلى أبي الهياج: عمرو بن مالك بن جنادة الأسدي فأخبره بكتاب عمر في الطّرق ثمّ أنّه أمر بالمناهج أربعين ذراعاً وما يليها ثلاثين ذراعاً وما بين ذلك عشرين وبالأزقة سبعة أذرع ليس دون ذلك شيء وفي القطائع ستين ذراعاً إلا الّذي لبني ضبة، فاجتمع أهل الرّأي للتقدير حتّى إذا أقاموا على شيء قسم أبو الهياج ووضعه في موضع أصحاب الصّابون والتّمارين وهو مسجد الكوفة.

وقد اختطه في غير الموضع الّذي اختطه سعد حين نزوله الكوفة، ثمّ حفر خندقاً عليه وبنى في مقدمته صفة على رخام للأكاسرة جيء به من الحيرة ولم يبن للمسجد جدران حتّى أنّ الرّجل يجلس في المسجد فيرى باب الجسر، ودير هند.

التّخطيط لإسكان القبائل العربية:

بعد أن أكمل تخطيط المسجد الجامع تم إسكان القبائل العربية على النّحو التّالي.

اختطت كلّ قبيلة مع رئيسها، فأقطع عمر أصحاب رسول الله(ص) فكانت عبس إلى جانب المسجد ثمّ تحول إلى أقصى المسجد قوم منهم، واختط سلمان بن ربيعة الباهلي والمسيب بن نجبة الفزازي وناس من قيس حيال دار مسعود، واختط عبد الله بن مسعود وطلحة بن عبيد الله وعمرو بن حريث الدّور حول المسجد، وأقطع عمر بن جبير بن مطعم فبنى داراً ثمّ باعها من موسى بن طلحة، وأقطع سعد بن قيس داراً عند سلمان بن ربيعة بينهما طريقاً، واستقطع سعد بن أبي وقاص لنفسه الدّار الّتي تعرف بدار عمر بن سعد، وأقطع خالد بن غرفطة وخباب بن الإرث وعمرو بن الحرث بن أبي ضرار وعمارة بن رويبة التّميمي، وأقطع أبا مسعود عقبة بن عمر الأنصاري، وأقطع بني شمخ بن فزازة مما يلي جهينة، وأقطع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص شهار سوج خنيس، وأقطع شريح بن الحارث الطّائي، وأقطع عمر بن أسامة بن زيد داراً ما بين المسجد إلى دار عمرو بن الحارث بن أبي ضرار، وأقطع أبا موسى الأشعري نصف الآري، وكان فضاء عند المسجد، وأقطع حذيفة بن اليمان مع جماعة من عبس نصف الآري وهو فضاء كانت فيه خيل المسلمين، وأقطع عمرو بن ميمون الآري الرّحبة الّتي تعرف بدار علي بن أبي طالب(عليه السلام) وأقطع أبا جبيرة الأنصاري وكان على ديوان الجند، وأقطع علي بن حاتم وسائر طي ناحية جبانة بشر، وأقطع الزّبير بن العوام، وأقطع جرير بن عبد الله البجلي وسائر بجيلة قطعة واسعة كبيرة، وأقطع الأشعث بن قيس الكندي وكندة من ناحية جهينة إلى بني أزد، وجاء قوم من الأزد فوجدوا فرجة فيما بين بجيلة وكندة فنزلوا.

وتفرقت همدان بالكوفة، وجاءت تميم وبكر وأسد فنزلوا الأطراف وأقطع أبا عبد الله الجدلي في بجيلة فقال جرير بن عبد الله لم نزل هذا مينا وليس منا فقال له عمر انتقل إلى ما هو خير لك فأنتقل إلى البصرة وانتقلت عامة أحمس عن جرير بن عبد الله إلى الجبانة، وقد تغيرت الخطط وصارت تعرف بقوم اشتروا بعد ذلك وبنوا، وكان لكلّ قبيلة جبانة تعرف بهم وبرؤسائهم منها جبانة عرزم وجبانة كندة وجبانة الصائدين وصحراء أثير وصحراء بني يشكر وصحراء بني عامر، وكتب

عمر بن الخطاب إلى سعد أن يجعل سكك الكوفة خمسين ذراعاً بالسّواء، وجعلت السّوق من القصر والمسجد إلى دار الوليد إلى القلائين إلى دور ثقيف وأشجع وعليها ظلال بواري إلى أيام خالد بن عبد الله القسري فإنّه بنى الأسواق وجعل لأهل باعة داراً وطاقاً وجعل غلالها للجند وكان ينزلها عشرة آلاف مقاتل.

«راجع اليقعوبي- كتاب البلدان»

ويذكر ماسنيون في خطط الكوفة أنّه قدم الإمام علي الكوفة بعد وقعة الجمل سنة ٣٦هـ غير نظام الأسباع في الكوفة والّذي سنأتي على ذكره فيما بعد، وعباها على التّرتيب التّالي تحقيقاً على الأنساب للبلاذري وكتاب الكيتاني ج٩ ص١٢٩ والدّينوري ص١٤٨ والطّبري ج١ ص٣١٧٤، ونصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين:

١- همدان وحمير.

٢- مذحج وأشعر ومعهم طيء «ولكن رايتهم خاصة بهم» وجعل نصر بن مزاحم قبيلة طي كفيلق سابع عند ذكره خروج جند الكوفة إلى صفين.

٣- قيس «عبس وذبيان» ومعهن عبد القيس.

٤- كندة وحضرموت وقضاعة ومهرة.

٥- الأزد وبجيلة وخثعم والأنصار «والدّينوري يذكرهم في الفيلق السّابع مع قريش».

٦- بكر وتغلب وبقية بطون ربيعة «عدا عبد القيس».

٧- قريش وكنانة وأسد وتميم وضبة والرّباب.

جغرافية الكوفة:

لو نظرنا إلى خارطة الكوفة القديمة[١] الّتي أخرجها لويس ماسينون عرفنا أنّ الكوفة كانت واسعة وكبيرة تتصل قراها وجباناتها إلى الفرات الأصلي وقرى العذار، فهي تبلغ ستة عشر ميلاً وثلثي الميل كما يقول الفقيه الشّعبي وكان فيها من الدّور خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر وأربعة وعشرون ألف دار لسائر العرب، وستة آلاف دار لليمن[٢]،

(١) إنّ فكرة وضع خريطة للكوفة القديمة راودت أذهان الكثير من المؤرخين والمستشرقين، كالمستشرق الألماني ولوان ولهاوزن والمستشرق الفرنسي لامانس ولكن لم يحاول أحد تحقيقها بالوجه الأكمل وإخراجها إلى حيز الوجود، لكن لويس ماسينون وهو أحد المستشرقين الفرنسيين سعى جاهداً لوضع خريطة عن الكوفة القديمة، وبالفعل فقد حققها وأخرجها ضمن رسالته عن خطط الكوفة ومع إغفاله لذكر بعض المناطق والقرى والمساجد الهامة فقد ضمنها تحقيقاً علمياً دقيقاً، وهو بلا شك جهد يستحق الشّكر والتّخليد.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٧، ص٢٩٧ مصر ١٩٠٦.

ويعد المؤرخ الطّبري من اليمن بالكوفة قبيلة بجيلة وخثعم والأنصار وخزاعة وقضاعة وحضرموت، وعد من مضر تميماً وهوازن وأبناء أعصر وأسداً وغطفان ومذحج وهمداناً[٣].

ويحدد لنا السّيد البراقي حدود الكوفة القديمة فيذكر أنّ خندق الكوفة المعروف اليوم بكري سعد، هو أحد حدودها، والحد الآخر هو القاضي الّذي يقرب من القائم إلى أن يصل قريباً من القرية المعروفة «حالياً بالشّنافية» والحد الثّالث الفرات الّذي هو ممتد من الدّيوانية إلى الحسكة حتّى القرية المعروفة اليوم بـ«أبو قوارير» وهي منزل الرّماحية، أمّا الحد الرّابع والأخير قرى العذار الّتي هي من نواحي الحلة السّيفية[٤].

موقع الكوفة:

تقع الكوفة من العراق على الضّفة اليمنى لشاطئ الفرات الأوسط أو بالأحرى «شط الهندية القديم» وذلك اعتباراً من جنوب المسيب شمال الكوفة حيث يتفرع نهر الفرات بواسطة سدة الهندية «طويريج» حالياً فيتفرع إلى فرعين، فرع الكوفة الّذي تقع عليه مدينة الكوفة وأبو صخير، والثّاني فرع الشّامية، أمّا الفرع الآخر فهو نهر الحلة الّذي تقع عليه مدينة الحلة «محافظة بابل» اليوم ومدينة الهاشمية، ثمّ يتفرع إلى فرعين هما فرع عفك الّذي تقع بالقرب منه خرائب «نفر» السّومرية والثّاني نهر الدّيوانية[٥].

وقد امتاز موقع الكوفة، بأرضه الخضلة الخصبة الصّالحة للزراعة والسّكنى والّذي زاد في أهميتها الاقتصادية، وتقع الكوفة بالنّسبة إلى المناطق المجاورة إلى الشّرق من مدينة النّجف الأشرف بنحو ١٦كم٢، وإلى الغرب من العاصمة بغداد بنحو ١٦٠كم٢ وإلى محافظة البصرة بالجنوب بنحو ٣٧٥كم٢ وعن خرائب واسط في الشّرق أيضاً على نهر الغراف بنحو ١٦٧،٥كم٢.

أهمية الموقع:

كان لبعد الكوفة عن مناطق المستنقعات والأهوار «مصدر الحلفاء والقصب»، وعن أخطار الفيضانات ومجرى الرّياح وأذى البعوض قد زاد في أهميتها الاقتصادية حيث ساعد ذلك في نموها وتطورها من هذه النّاحية، يضاف إلى هذا موقعها الحربي الاستراتيجي المهم حيث تحدها الصّحراء من الغرب والفرات من الشّرق فيمكن قطع الطّريق على الأعداء القادمين من النّهر وعرقلة مسيرهم.

(٣) الطّبري التّاريخ، ج٦ ص١٤٦، طبع بريل ١٨٨١.

(٤) البراقي تاريخ الكوفة، ص١٣٤، النّجف سنة ١٩٦٢.

(٥) جاسم الخلف: جغرافية العراق الطّبيعية، ص١٧٤ القاهرة ١٩٥٩.

وعلاوة على هذا فالكوفة تمتاز بموقعها الحيوي فهي تتوسط العراق ويمكن منها فرض السّيطرة على طول منطقة الفرات من النّاحية الحربية ويجعلها ممراً هاماً في طريق القوافل التّجارية ومحطة في رأس طريق الحج إلى مكة، كما يساعدها على أن تكون مركزاً للتجارة وسوقاً نشطاً لتبادل السّلع وتوزيع البضاعة[1].

طبيعة السّطح:

الطّبيعة التّكوينية لجميع أراضي الكوفة وأراضي العبّاسية وضواحيها الّتي اعتبرت اليوم جزءاً من محافظة كربلاء، هي طبيعة رسوبية كونتها ترسبات نهر الفرات وفروعه بمرور الزّمن وتوالي الدّهور[2]، ونهر الكوفة القديم هو من فروع نهر الفرات القديمة وكان يسمى في زمن الاسكندر «بالاكوباس» وفي الوقت الحالي يطلق عليه نهر الهندية[3].

والحديث عن أنهار الكوفة بالذّات يأتي ضمن حلقة أخرى إن شاء الله.

المناخ:

يُعد مناخ الكوفة أسوة بمناخ العراق على العموم بارداً ممطراً شتاءً وحاراً جافاً صيفاً، ويتمثل فصل الرّبيع والخريف بأيام معدودة لا تكاد تتميز بشكل واضح، وقد تميزت طبيعة المناخ بالكوفة بجمال الطّبيعة والمناخ الجميل والهواء العليل والماء العذب الرّقراق مما بعث الشّعراء على التّغني بهوائها وتربتها، ببساتينها وفاكهتها، بنهرها الفرات وعذوبته، بمتنزهاتها ومجالسها وقديماً قال علي بن محمّد الكوفي العلوي المعروف بالحماني:

ألا هل من سبيل إلى نظرة
يكوفان يحيى بها النّاظران
يقلبها الضّب دون السّدير
وحيث أقام بها القائمان
وحيث أناف بأوراقه
محل الخورنق والمساديان
وهل أبكرن وكثبانها
تلوح كأودية الشّاهجان
وأنوارها مثل برد النّبي
ردع بالمسك والزّعفران

وقال أبو نؤاس وقد قدم الكوفة واستطابها وأقام بها مدة:

ذهبت بها كوفان مذهبها
وعدمت عن أربابها صبري
فإذاك إلا إنّني رجل
لا استخف صداقة البصري

وكان الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) إذا أشرف على الكوفة قال:

يا حبذا مقالنا بالكوفة
أرض سواء سهلة معروفة
تعرفها جمالنا العلوفة

ومع هذا المدح لصفاتها الحميدة ومزاياها الجميلة فلن تخلو الحسناء من ذم كما يقول المثل، قال النّجاشي يهجو أهلها:

إذا سَقى الله قوماً صوب غادية
فلا سقى الله أهل الكوفة المطرا
السّارقين إذا ما جن ليلهم
والدّارسين إذا ما أصبحوا السّورا
ألق العداوة والبغضاء بينهم
حتّى يكونوا لمن عاداهم جزرا

إلى غير ذلك من مادحيها وقادحيها مما يطول شرحه.

المساحة والمكان:

ما أن تم إسكان القبائل العربية في الكوفة وحطت رحالها في المصر الجديد وبدا العمران حتّى توافد عليها النّاس من كل حدب وصوب، وكان أغلب سكان الكوفة في بادئ الأمر من عرب الجنوب من أهل اليمن، وكان عددهم عشرين ألفاً، منهم اثنا عشر ألفاً من اليمانيين وثمانية آلاف من المضريين كما تنص عليه رواية الفقيه الشّعبي إذ يقول: «كنا نعد أهل اليمن اثني عشر ألفاً وكانت نزار ثمانية آلاف»[4].

وكان أوّل الوافدين إليها بعد العرب، الفرس وكان عددهم أربعة آلاف ممن كانوا يعملون في الجيش الفارسي وشهدوا القادسية مع رستم كما شاهدوا فتح المدائن وجلولاء ويقول البلاذري إنّ زياداً سير بعضهم إلى بلاد الشّام بأمر معاوية بن أبي سفيان وسير قوماً منهم إلى البصرة[5]، وكان الفرس في بداية نزولهم الكوفة قد فاوضوا سعداً على أن ينزلوها حيث حبوا، ويحالفوا من يحبوا، ويفرض لهم العطاء فأعطوا الّذي

(١) كاظم الجنابي: تخطيط مدينة الكوفة ص٣٥، بغداد ١٩٦٧.
(٢) فوتي صاحب كتاب.
(٣) محسن عبد الصّاحب المظفر: مجلة الإيمان النّجفية عدد٣، ٤ السّنة الثّانية، ص١٦٢.
(٤) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٧٦.
(٥) البلاذري المصدر السّابق: ص٧٩.

طلبوه وسألوه ثمّ توالت إلى الكوفة وافدات من السّريان الّذين كانوا يسكنون الدّيارات بأطراف الكوفة والنّجف والحيرة كدير هند ممن أصبحت لهم صلات بالمجتمع الكوفي آنذاك، كما نزل الكوفة عدد من النّبط وهم سكان البطائح بين العراقين.

كما وفد على الكوفة من نجران اليمن اليهود والنّصارى وقد كانوا جلهم ممن يمتهنون الصّيرفة وقد قاموا في محلة عرفت بـ «النّجرانية» وممن نزل الكوفة من أصحاب البيوتات الأربعة وهم الحاجب بن زرارة بيت تميم وآل زيد بيت قيس وآل ذي الجدين بيت ربيعة وآل قيس بن معدي كرب الزّبيدي بيت اليمن[1].

وقد أخذ سكان الكوفة يزدادون بسرعة فائقة عندما سكنها المحاربون وعيالهم حتّى كانت عدة أهل الكوفة ثمانين ألفاً ومقاتلوهم أربعين ألفاً.

أمّا عن ناحية المساحة فعلى أغلب الظّن أنّ أقصى ما بلغت الكوفة من المساحة في القرون الثّلاثة للهجرة حسبما نحدده مؤقتاً هو ١كم^2 طولاً و٩كم^2 عرضاً أي من نقطة تبدأ من خان المصلى في الشّمال إلى حدود قصر أمّ عريف في الجنوب قرب بحر النّجف[2].

وقد بلغت الكوفة من المساحة في العصر الأموي حسبما يحدد لنا الفقيه الشّعبي في الرّواية المشتقة الذّكر «ستة عشر ميلاً وثلثي الميل».

سواد الكوفة:

السّواد بمعناها الشّامل هي البساتين والمزارع من النّخيل والأشجار إذا التفت واتصل بعضها ببعض وقد سميت أرض السّواد بهذا الاسم لأنّ القادم إليها من الصّحراء يراها سوداء من بعيد لخضرتها بالنّخل والزّروع، والعرب تسمي الأخضر أسود، وقد كان ملوك الفرس يطلقون عليها «دلْ ايرانشهر» أي قلب العراق[3] وقال الحجة الشّيخ الطّريحي في مجمع البحرين: سواد الكوفة أشجارها ونخيلها ومثله سواد العراق سمي بذلك لخضرة الأشجار وزرعه[4] ويؤلف سواد الكوفة قسماً من حملة سواد العراق وقد أرسل عمر بن الخطاب خبراء من الصّحابة إلى العراق لتصفية خراج السّواد سواد الكوفة ومسحها منهم عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان، وقد أحصوا أهل السّواد وقدروا الخراج عليهم، حيث صار حذيفة بن اليمان على ما وراء دجلة «شرق دجلة» وصار عثمان بن حنيف على ما دونه[5] «غرب دجلة»، وأمرهما عمر أن لا يحملا أحداً فوق طاقته[6] أو أرضاً ما لا تطيق[7] كما أمرهما أيضاً أن لا يمسحا تلاً أو أجمة ولا مستنقع ماء أو أرضاً لا يبلغها الماء وأن يمسحا بالذّراع العمري[8].

وقد مسح عثمان بن حنيف أرض السّواد بدقة متناهية لأنّه كان عالماً بالخراج من قبل حتّى أنّه قيل «مسحها مساحة الدّيباجة»[9] دلالة على دقة المسح وبعد هذا فرض عمر بن الخطاب على كلّ جريب عامراً أو غامراً يناله الماء قفيزاً من الحنطة أو قفيزاً من شعير أو درهمان[10].

أمّا حذيفة بن اليمان فلم يوفق في عملية المسح هذه على الوجه المطلوب لأنّ سكان المنطقة لم يعينوه على أمر وغشوه يقول أبو يوسف «أمّا حذيفة فكان أهل جوخى شرق دجلة» قوماً مناكير فلعبوا به في مساحته[11] ولم يقتصر وضع الخراج في السّواد على الحنطة والشّعير وإنّما تعداهما إلى محصولات أخرى فقد وضع على جريب السّمسم خمسة دراهم وجريب الكرم عشرة دراهم وعلى جريب القطن خمسة دراهم وعلى خضر الصّيف في كلّ جريب ثلاثة دراهم[12].

كما وضع على كلّ جريب من الزّيتون اثنا عشر درهماً[13] وجريب النّخيل ثمانية دراهم وجريب قصب السّكر ست دراهم[14] وقد حمل من خراج السّواد في أوّل سنة ثمانون ألف ألف درهم[15] وقيل مائة ألف ألف درهم[16] في خلافة عمر بن الخطاب.

وقد كانت أرض السّواد قديماً متكونة من اثنتي عشرة كورة ومجموع طساسيجها ستون طسوجاً حسب الاصطلاح

(١) كاظم الجنابي: تخطيط مدينة الكوفة ص٤٣ نقلاً عن كتاب البلدان لابن الفقيه ص١٧٢.

(٢) كاظم الجنابي: المصدر السّابق، ص٤١.

(٣) ابن خرداذبة- المسالك والممالك ص١٤.

(٤) فخر الدّين الطّريحي- مجمع البحرين- مادة سود.

(٥) البلاذري فتوح البلدان ص٢٦٩، أبو يوسف الخراج ص٢٣.

(٦) اليعقوبي: التأريخ ص٤٤.

(٧) أبو يوسف: الخراج ص٤٤.

(٨) الذّراع العمري وهو ذراع وقبضة وإبهام قائمة فوق القبضة وينسب إلى عمر بن الخطاب، الماوردي: الأحكام السّلطانية ص٦٦، اليعقوبي التأريخ ج٢ ص١٢٩.

(٩) أبو يوسف: الخراج ص٤٥، الماوردي: الأحكام السّلطانية ص٢٥٦.

(١٠) أبو يوسف: الخراج ص٤٥.

(١١) أبو يوسف: الخراج ص٤٥.

(١٢) أبو يوسف: الخراج ص٤٥- ٤٦ الجريب= ٦٠ ذراع في ٦٠ ذراع يساوي ٣٦٠٠ ذراع مربعة أي حوالي ١٠٠٠متر مربع.

(١٣) ابن سلام: الأموال ص٦٩.

(١٤) أبو يوسف: الخراج ص٤٣، ابن سلام: الأموال ص٦٩، الماوردي: الأحكام السّلطانية ص٢٥٧.

(١٥) اليعقوبي: التّأريخ ج٢ ص١٣٠.

(١٦) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٧٠، ياقوت: معجم البلدان «مادة السّواد»، ابن خرداذبة المسالك والممالك ص١١.

الّذي كان معروفاً آنذاك والكورة «وتدعى أيضاً الاستان» اسم فارسي استعاره العرب واستعملوه في لغتهم ويقصدون به أكثر وأكبر وحدة زراعية في القطر، وتقابل عندنا في الوقت الحاضر اسم المحافظة، وتقسم الكورة إلى رساتيق، والرّستاق «ويقابله عندنا القضاء» ينقسم إلى طساسيج والطّسوج «وهو النّاحية» يتألف من مجموعة قرى وعلى ورود هذه الاصطلاحات ندلي ببعض الإيضاح تتميماً للفائدة، فقد كانت الممالك السّاسانية تنقسم إدارياً إلى أقسام تسمى الاستانات وكان الإستان ينقسم إلى طساسيج والطّسوج ينقسم إلى رساتيق والرّستاق يتألف من القرى والضّياع وعندما حكم المسلمون العراق وإيران لم يغيروا تلك الأنظمة سوى أن صاروا يسمون الاستان بالكورة وأمّا البهقباذات فقدر ثلاثة استانات من أعمال الفرات فالبهقباذ الأعلى كان ستة طساسيج «أ» عين التّمر «ب» النّهرين «جـ» الفلوجة العليا «د» الفلوجة السّفلى «هـ» بابل «و» خطرنية، والبهقباذ الأوسط أربعة طساسيج «أ» الجبة ونهر البداة «ب» سورا «جـ» بارسوما «د» النّيل، وأمّا البهقباذ الأسفل فكان خمسة طساسيج «أ» فرات بادقلي «ب» السّيلحين «جـ» الحيرة «د» تستر «هـ» مزجرد «أي مجموع أراضي البهقباذات الثّلاثة تقابلها اليوم أراضي الرّمادي والفلوجة» وكافة أراضي محافظتي بابل وكربلاء وقضائي الشّامية وأبي صخير من محافظة القادسية[1].

وقد شمل سواد الكوفة المنطقة الممتدة مما يلي الفرات من جهة شرقي مسجد الكوفة إلى ما وراءه إلى محافظة القادسية ثمّ يجري إلى ناحية الحمزة إلى أن ينحط إلى جملة قرى، منهم أمّ النّجرس، وأبو قوارير وحتّى الرّميثة وهنالك يقال له الدّهلة ثمّ يصل إلى بادية السّماوة كما ويشمل أيضاً العديد من القرى والنّواحي فمن ذلك قرية الحصاصة والّتي أغفل عن ذكرها ماسينون ضمن الخارطة الّتي أخرجها عن سواد الكوفة، والرّهيمة، وحنين، وحروراء وغيرها.

ويذكر اليعقوبي أنّ خراج الكوفة داخل في خراج طساسيج السّواد، وطساسيجها الّتي تنسب إليها طسوج الجبة والبداة وفرات بادقلي والسّلحين ونهر يوسف[2]، ولما كانت أراضي السّواد من المواقع المفتوحة عنوة كانت أراضيها خراجية وهي على ثلاثة أنواع:

١- الأراضي المأهولة بعرب الحيرة الّذين انكشفوا عنها على أثر حوادث الفتح وهي الممسوحة والمسجلة بأسماء أصحابها كما نقول اليوم «لزمه».

٢- الأراضي الخاضعة للجباية السّاسانية كما نقول اليوم «أميرية» وقد توزعت بين عمدة رؤساء القبائل.

٣- الأراضي المملوكة للساسانيين: كما نقول اليوم «طابو»[3] وقد أقطعت هذه الأراضي لبعض الأشخاص أقطعها عثمان «كقرية نستانج»[4] أقطعها لطلحة بن عبيد الله التّميمي «حسب رواية البلاذري» وطيزناباد والّتي أعطاها للأشعث والجرمين «ولا شك بأنّها الشّومية» فطارت من حصة جرير بن عبد الله البجلي، وضيعة زرارة «القريبة من الجسر على طريق بابل»[5] وهي تنسب إلى زرارة صاحب شرطة سعد بن أبي وقاص الّتي صارت لوائل الحضرمي وقرية حمام أعين «نسبة إلى أعين حليف سعد» فأقطعت لخالد بن عرفطة، وأصبيناً «والمحتمل أن تكون أصباغ خفان» والّتي أخذها عمار بن ياسر وصعنبا[6] الّتي صارت وهرمز الّتي أقطعت إلى سعد بن مالك «أبو سعيد الخدري»، «وعلى احتمال ماسينون إنّ هذه المقاطعة طسوج هرمزجرد»، العذيب والّتي تسمى اليوم بـ «الرّحبة» فقد أخذها عدي بن حاتم الطّائي[7] كما أقطع عثمان قرية استينيا لخباب بن الإرت.

أنهر الكوفة:

تشمل الكوفة بما فيها سوادها ونواحيها عدداً غير قليل من الأنهار، وقد اندثر أغلبها وقد كان عمودها الأصلي الّذي تنبع منه هو نهر الفرات فإنّه يعتبر الأصل لهذه الأنهار ومنه تشق وتسقي الزّرع، وقد كان الفرات في الكوفة منذ قديم الزّمان فقد كان في زمن الاسكندر المقدوني ويطلق عليه حينئذ اسم «ياكيولا»[8].

ونورد أدناه طائفة من تلك الأنهار مقتصرين بذلك على ما ذكره البلدانيون العرب والمسلمون كالحموي في معجم البلدان وعبد الحق صفي الدّين الخطيب في مراصد الاطلاع وغيرهم لما فيه الاستيعاب والكفاية كما استعنا على بعض كتب التّاريخ والجغرافية الحديثة لما لها من علاقة تخص الموضوع.

---

(١) لويس ماسينون: خطط الكوفة ص٧ الهامش.

(٢) اليعقوبي: البلدان، ص٣٩، طبع ليدن.

(٣) البراقي: تاريخ الكوفة ص١٤٤.

(٤) قيل إنّ نستانج نهر وقيل ضيعة بالكوفة كانت لطلحة بن عبيد الله التّميمي وكانت عظيمة الدّخل اشتراها من أهل الكوفة المقيمين بالحجاز بمال كان له بخيبر وعمرها فعظم دخلها «راجع تاريخ الكوفة للبراقي ص١٩١».

(٥)

(٦) الطّبري: التّاريخ ص٩٧٨، المجلد٣.

(٧)

(٨) راجع الحلقة الرّابعة من سلسلة بحثنا هذا.

١- **نهر كوثى**: بضم الكاف ثمّ الواو السّاكنة والثّاء المثلثة المفتوحة، ذكر ياقوت في المعجم «قال أبو المنذر سمي نهر كوثى بالعراق بكوثى من بني ارفخشد بن سام بن نوح(عليه السلام) وهو الّذي كراه فنسب إليه، وهو جد إبراهيم ثمّ حفر سليمان نهر أكلف ثمّ كثرت الأنهار، وكوثى العراق كوثيان أحدهما كوثى الطّريق والآخر كوثى ربى وبها مشهد إبراهيم الخليل(عليه السلام) وبها مولده وهما من أرض بابل وبها طرح إبراهيم(عليه السلام) بالنّار وهما ناحيتان، وسار سعد من القادسية في سنة عشرة ففتح كوثى».. ويذكر «أنّ كوثى اسم منزل بمكة لبني عبد الدّار خاصة ثمّ غلب على الجميع»[١].

ويقول صاحب مراصد الاطلاع: كوثى ربى هما قريتان بينهما تلول من رماد يقال أنّها من النّار الّتي أوقدها نمرود لإحراق إبراهيم الخليل(عليه السلام)[٢].

وقد جاء ذكر كوثى في الشّعر العربي فما قاله الأحوص الأنصاري:

تقر بكم كوثى إذا ما نسيتم
وتنكركم عمر بن عوف بن ججى[٣]

وفي مراقد المعارف إنّ إبراهيم (عليه السلام) هاجر مع أبويه إلى بابل، وأقاموا في قرية كوثى ربى، وكان فيها نموه ونشأته، وفيها صار ينكر على النّمرود وقومه حيث اتخذوه إلهاً يعبدونه من دون الله تعالى، وهنا رماه في المنجنيق بناره الّتي أعدها له، وهي الّتي جعلها الله سبحانه وتعالى برداً وسلاماً على إبراهيم[٤].

٢- **نهر البويب**: بلفظ التّصغير، يعد من أنهار الكوفة كان فمه عند دار الرّزق يأخذ من الفرات، كانت عنده وقعة أيام الفتح الإسلامي للعراق أيام الخليفة عمر بن الخطاب وليس أيام أبي بكر كما يذكر ياقوت في المعجم، وقد لقبت هذه المعركة بالبويب نسبة لهذا النّهر وانتصر فيها المسلمون على الفرس حيث نجح المثنى بن حارث الشّيباني بالتّصدي للفرس بقيادة مهران وانتصر عليهم، وقتل منهم عدداً كثيراً، وبذلك أخذ بثأر إخوانه المسلمين من شهداء الجسر[٥].

وقد كان مجرى نهر البويب إلى موضع دار صالح بن علي بالكوفة ومصبه في الجوف العتيق وقد كان مفيضاً للفرات

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٧ ص٢٩١.
(٢) صفي الدّين بن الخطيب: مراصد الاطلاع ص٣٤٦.
(٣) شعر الأحوص الأنصاري: تحقيق الدّكتور إبراهيم السّامرائي- بغداد.
(٤) محمّد حرز الدّين: مراقد المعارف- طبع النّجف ص٢٥ ج١.
(٥) التّاريخ العربي الإسلامي: لجماعة من الأساتذة ص٥٨ وراجع معجم البلدان ج١.

أيام المدود، وقد كانوا فعلوا ذلك الجوف حتّى كانت السّفن البحرية ترفأ إلى الجوف، وقد أنشئت حديثاً في الكوفة ناحية عرفت بالبويب نسبة لهذا النّهر والّتي ألغيت بموجب مرسوم حكومي صدر قبل مدة قصيرة.

٣- **البردان**: بالرّاء والدّال المهملتين، عده البراقي من أنهار الكوفة، وكان منزلاً لوبرة بن رومانس وقال هشام هو وبرة الأصغر بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة أخو النّعمان بن المنذر لأمّه مات ودفن بهذا الموضع- موضع البردان- ولذلك يقول مكحول بن حرثة يرثيه:

ألا يا عين جودي باندفاق
على مردى قضاعة بالعراق
فما الدّنيا بباقية لحي
ولا حي على الدّنيا ببّاق
لقد تركوا على- البردان- قبراً
وهموا للتفرق بانطلاق

٤- **الصّنين**: بالكسر ثمّ التّشديد مفتوح بلفظ تثنية الصّن، نهر كان بظاهر الكوفة في النّجف وعليه مزارع ويقوم عليه بلد الصّنين، وكان من جملة منازل المنذر، وقد ابتاعه عثمان بن عفان من طلحة بن عبيد الله التّميمي وكتب له كتاباً مشهوراً عند المحدثين، وفي الصّنين حبس عدي بن زيد الشّاعر حبسه النّعمان بن المنذر[٦].

وقد لجه في حبسه وعدي يرسل إليه بالشّعر فما قاله له:

ليس شيء على المنون بباق
غير وجه المسبح الخلاق
إن نكن آمنين فأجانا شر
مصيب ذا الود والإشفاق

٥- **نهر شيلي**: وهو من نواحي الكوفة، ويعرف هذا النّهر اليوم بنهر زياد نسبة إلى زياد بن أبيه ولنهر شيلي ذكر في الفتوح، ومأخذه من الفرات[٧].

٦- **نهر النّيل**: جاء في معجم البلدان «النّيل بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد، يخترقه خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير، حفره الحجاج بن يوسف وسماه بنيل مصر، وقيل إنّ النّيل هذا يستمد من حداة جماسب».

وهو الّذي قال فيه الشّاعر:

(٦) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني طبع مصر ج٣ ص١١٦.
(٧) البراقي: تاريخ الكوفة ص١٦١ طبع النّجف.

قالوا هجرت بلاد النّيل وانقطعت
حبال وصلك عنها بعد أعلاق
فقلت إنّي وقد أقوت منازلها
بعد ابن مزيد وفد وطراق

ويذكر ابن قتيبة في نيل سواد الكوفة قال: يستقبل الشّمال ويصب في وقت زيادة الأودية ويزيد في نقصانها، وزيادة أوّله وآخره معها، ولا تكون التّماسيح إلا فيه ومما نسب لأبي نؤاس قوله في النّيل «نيل سواد الكوفة»:

أخمرت للنيل هجراناً ومقلية
إذ قيل لي إنّما التّمساح في النّيل
فمن رأى النّيل رأى العين عن كثب
فما أرى النّيل إلا في البواقيل

ومن قصيدة لابن ميادة الشّاعر ذكر فيها النّيل قالها عندما خطب امرأة من بني سلمى بن مالك بن جعفر ثمّ من بني البهثاء- فأبوا أن يزوجوه، وقالوا أنت هجين ونحن أشرف منك فقال:

فلو طاوعتني آل سلمى بن مالك
لأعطيت مهراً من مسرة غاليا
وسرب كسرب العين من آل جعفر
يغادين بالكحل العيون السّواجيا
إذا ما هبطن النّيل أو كف دونه
بسرو الحمى القين ثمّ المراسيا[1]

٧- **نهر سورا**: بضم السّين المهملة وآخره ألف يمد ويقصر تقوم عليه قرية سور المنسوبة إليه وهذا النّهر يمر بإزاء قصر ابن هبيرة ويتجاوز بابل عدة أنهر ويمر عموده إلى مدينة النّيل ويجاوزها حتّى يصب في دجلة ويسمى بعد مجاوزة النّيل «نهر الصّراة» وعلى الفرات قرى تصب فيه[2]، وقد كان هذا النّهر عمود الفرات أوّله من القرية المعروفة بالجديدة من قرى العذار ويكون مجراه ما بين قرية ذي الكفل وبين قرية القاسم بن الإمام الكاظم(عليه السلام) وهو إلى القرية الأخيرة أقرب وقد كانت سورا بلدة قديمة يقوم عليها النّهر.

ويذكر ياقوت في المعجم سورا ألفه مقصورة على وزن بشرى موضع بالعراق من أرض بابل وهي مدينة السّريانيين وهي قريبة من الوقف في الحلة المزيدية[3] ويذكر السّيد القزويني إنّ «القاسم بن الكاظم في سورا المعروفة الآن بأرض نهر الجربوعية من أعمال الحلة السّيفية»[4].

هذا ونهر سورا كما يقول البراقي بعدما يسقي الزّروع وينتفع بمائه يصب فاضله- ما كان في غربيه- إلى بطائح الكوفة وعلى السّيب قرى كثيرة تستسقى منه ثمّ يقع فاضله في البطائح وهو بر الكوفة على ظهر النّجف[5].

٨- **نهر أبي كحتّى**: نهر بين الكوفة وقصر بني مقاتل ينسب إلى أبي بن الصّامغان من ملوك النّبط ونهر بواسط العراق، وبئر بالمدينة[6]، ونهر أبي: بفتح الهمزة وتشديد الباء الموحدة والقصر ما بين الكوفة وقصر ابن هبيرة على ما ذكره البراقي في تاريخ الكوفة[7].

٩- **نهر نرس**: بفتح أوّله وسكون ثانيه وآخره سين مهملة، وهو نهر حفره نرسي بن بهرام بنواحي الكوفة وأخذه من الفرات عليه عدة قرى قد نسب إليه قوم، والثّياب النّرسية منه واجمة برس «بالفتح والتّحريك وبرس بضم الموحدة وسكون الرّاء، والسّين المهملة: ناحية من أرض بابل وهي بحضرة الصّرح، صرح نمرود بن كنعان وهي الآن قرية معروفة قبل الكوفة»[8].

١٠- **نشاستج**: وقيل نستانج وهو خطأ، عدّه البراقي من أنهار الكوفة وكانت تقوم عليه قرية نشاستج من جملة الأراضي المملوكة للساسانيين، وقد أقطعها عثمان لأهل الكوفة المقيمين بالحجاز فاشتراها منهم طلحة بن عبيد الله التّميمي بمال كأن له بخيبر وعمرها فعظم دخلها حتّى قال سعيد بن العاص وقد قيل له إنّ طلحة بن عبيد الله جواد، قال: إنّ من له مثل نشاستج لحقيق أن يكون جواداً والله لو إنّ لك مثله لأعاشك الله به عيشاً رغداً.

وينقل الواقدي عن إسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة قال: أوّل من أقطع بالعراق عثمان بن عفان قطائع مما كان من صوافي آل كسرى مما جلا عنه أهله فقطع لطلحة بن عبيد الله النّشاستج وقيل بل أعطاه إيّاها عوضاً عن مال كان له بحضرموت.

وظهر لنا خلال تحرياتنا وتنقيبنا عن نشاستج إنّه فرع صغير من الفرات كان منبعه من الفرات الأصلي يسقي زروع قرية نشاستج، ثمّ لا ندري المقصود من اسم نشاستج وعلى أغلب الظّن أنّ هذا الاسم فارسي معرب.

- للبحث بقية -

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار- طبع مصر ج٣ ص٢٧٩.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ج٢ ص٣٤٠ طبع مصر.
(٣) القلقشندي: صبح الأعشى طبع مصر ج٤ ص٨٠
(٤) ياقوت: معجم البلدان.
(٥) مهدي القزويني: فلك النّجاة.
(٦) حسين البراقي: تاريخ الكوفة ص١٩.
(٧) عبد الحق صفي الدّين: مراصد الاطلاع طبع مصر ج١ ص١٠.
(٨) البراقي: تاريخ الكوفة ص١٩١ طبع النّجف.